الفصل الأول

بذور الطغيان

(100 - 400م)

حصل الذين ابتغوا السيطرة روحياً، وأرادوا تحديد العلاقات الشخصية مع الرب على المكانة العالية خلال القرن الأول من التأريخ المسيحي، وكونت عقائدهم وشكلت الأسس العقائدية للجانب الأكبر من تاريخ الكنيسة المسيحية المظلم، وقد اعتقد هؤلاء المسيحيون الأرثوذكس، لدى اعتمادهم الإيمان بوجود قوة واحدة متفوقة، وآمنوا بأن الخوف والخضوع إلى سلطة لاهوتية متدرجة، أمراً لا مندوحة عنه، وهذا ما لم يوافق عليه جميع المسيحيِّين، وفي الحقيقة، إنه خلافاً للصورة المتوائمة للقرون الأولى للمسيحية، على أنها كانت زمناً من الوئام والوحدة، لم يتفق المسيحيون حول كل شيء شروعاً من طبيعة الرب، ودور الرجال والنساء، إلى السبيل الذي يمكن للإنسان أن يجد فيه التنوير.

ولعل أكثر الناس تمحوروا حول فئة المسيحيين الذين سوف ينتصرون، وسوف يطلق عليهم هنا اسم «المسيحيين الأرثوذكس»[1]، وهم الذين آمنوا بقوة متفوقة واحدة، والاعتقاد بأن الألوهية تجلت في شخص واحد، والإيمان برب واحد يختلف اختلافاً واسعاً عن الاعتقاد الواسع الانتشار بأن الألوهية يمكن أن تتجلى في عدد من الأشكال والشخصيات، وبما أن الناس يعتقدون بأن الرب يمكنه أن يمتلك

(1) إن استخدام اصطلاح الأرثوذكس في هذا الكتاب يشير إلى العقيدة التقليدية داخل جميع آفاق المسيحية، وليس تحديداً أية كنيسة أو أفق ديني.

وجهاً واحداً، لذلك هم يميلون إلى الاعتقاد بأن السوء أو انعدام الألوهية بين البشر، يمكنه أيضاً أن لا يمتلك سوى وجهٍ واحدٍ، وجميع الأجناس، والأعراق، والطبقات، أو العقائد هي منظمة بشكلٍ أحسن أو أسوأ إحداها عن الأخرى، لا بل حتى الفكرة لموقفين مختلفين قائمين بوئام، أصبحا متباينين، أحدهما ينبغي أن يسيطر ويغدو متفوقاً على الآخر.

وفي داخل مثل هذا البنيان العقائدي تمّ فهم الرب أنه يحكم إفرادياً من أعلى ذروة الترتيب اللاهوتي، المؤسس ليسَ على الحب، بل على الخوف، وتحث التوراة مراراً وتكراراً الناس على أن يخافوا من الرب: «اخشَ الرب، ونفذ أوامره وحافظ عليها، لأن هذا هو الواجب الكامل للإنسان»[1]، «مبارك كل واحد يخاف من الرب»[2]، «اخْشَهُ فهو الذي بعدما قتل امتلك القدرة على أن يرمي في النار، نعم، إنني أقول لكم، خافوا منه واخشوه»[3].

وفي القرن الثالث لم يكن بإمكان رجل الكنيسة، الأب تيرتوليان Tretallian أن يتصور كيف لا يمكن للرب أن لا يطلب الخوف:

«***لكن كيف يمكنك أن تحب، فمن دون بعض الخوف أنت لا تحب، ومن المؤكد أن مثل هذا الرب هو ليس أباك، الذي تتجه نحوهُ بحبك، فمن أجل الواجب ينبغي أن يكون هذا الحب ممزوجاً بالخوف، بسبب قدرته وقوته، وليس لأنه هو ربك الصحيح ومولاك الذي ينبغي أن تحبه لإنسانيته، وتخشاه مثلما تخشى أستاذك***»[4].

وكان إيمان المرء حول رب له نفوذه وتأثيره على إيمان الإنسان حول المجتمع، وذلك حسبما جاء في الصلاة الربانية وتقرر: «من المتوجب تنفيذ إرادة الرب على الأرض، مثلما يجري تنفيذها في السماء»، ويعتقد المسيحيون الأرثوذكس بأن على الناس الخوف من حاكمهم الأرضي مثلما يخافون من الرب.

وفي القرن الرابع وصف القديس خريسوستون Chresostom الضرورة الحتمية للخوف بقول: «***إذا كنت ستقوم بتجريد العالم من القضاة، ومن الخوف الصادر عنهم، فإن البيوت، والمدن، والأمم سوف تتهاوى بعضها فوق بعض في فوضى لا يمكن ضبطها، لأنه ليس هناك أي واحد يضغط عليهم، أو يردعهم، أو يقنعهم أن يعيشوا بسلام من خلال الخوف من العقوبة***»[5]، وهكذا كان الخوف بالنسبة للأرثوذكس أمراً ضرورياً للحفاظ على النظام.

ووجد المسيحيون أنفسهم - حسبما ألح مرقيون في القرن الثاني على طبيعة الرب في أنه رحيم، وعفو ومحب - في وضع شاذ مع الأرثوذكس، وفي أعين المسيحيين الأرثوذكس، ينبغي أن يكون الرب مقطباً ميالاً إلى الغضب، ويطلب التمسك بالطاعة والنظام وبالمعاقبة، فقد كتب تيرتوليان:

«الآن إذا كان رب مرقيون مجرداً من مشاعر التنافس، أو الغضب، أو التدمير، أو الإيذاء، هو سيكون مثل شخص ممنوع من ممارسة السلطة القضائية، فأنا لا يمكنني الحديث عن أي نظام للطاعة - وأيضاً نظام للغفران المطلق - يمكن أن يوجد فيه» [6].

وقد اقترح الباحثون بأن السطر الأول في العقيدة المسيحية الذي جاء فيه: «إنني أؤمن برب واحد، هو الآب القدير، صانع السموات والأرض» قد كتب بالأصل لإبعاد المرقونيين واستثنائهم بالإلحاح على الطبيعة الوحدانية والقضائية الحكيمة للرب [7].

وركز المسيحيون الأرثوذكس تركيزاً كبيراً على السلطة الفردية للأسقف، وعلى المراتب داخل رجال اللاهوت، وعلى التمييز بين رجال اللاهوت والعلمانيين، وذلك حسبما أعلن الأسقف الأنطاكي إغناطيوس Ignatiucs، الذي هو من القرن الأول، بأنه لا يمكن أن يكون هناك سوى أسقف واحد في الكنيسة [8]، حيث قال: «***وأسقفك يترأس في مكان الرب، وكاهنك في موضع. . . الرسل***»، ثم استطرد يقول: «***ومن دون هؤلاء ليس هناك كنيسة***» [9]، وعلى كل حال إن مثل هذه العقائد والميول، لم يتشارك بها جميع المسيحيين، فهذا أمر مؤكد، ويلح الأرثوذكس على المرتبة إلى حد أن واحداً من الغنوصيين المسيحيين كتب عنهم: «يريدون أن يأمر أحدهم الآخر ويقوده في مطامحهم العابثة، ويتشوقون برغبة عارمة وشبق إلى السلطة، أحدهم فوق الآخر، وكل واحد منهم يعتقد أنه متفوق كثيراً على الآخر» [10].

ولم يقبل جميع المسيحيِّين الإيمان بفرد متفوق، فقد فهم بعض المسيحيين الرب على أنه متعدد الوجوه، وله صفات ذكورية وأنثوية في آن واحد، واعتقد بعضهم بأن الألوهية هي مزدوجة الطبيعة: الجانب الأول هو غير المدرك، والعمق، والأب الرئيس الأول، في حين أنَّه في الجانب الآخر: النعمة، والصمت والرحم والأم

للجميع[11]، وفي إنجيل يوحنا الغنوصي العرفاني، ظهرت رؤيا للرب وهو يقول: «أنا الآب، أنا الأم، أنا الولد»[12]، وقد قال ثيودوسيوس، وهو معلم غنوصي: «كل واحد يعرف الرب من خلال تكوينه هو وشكله، ولكن ليس الجميع وفق الطريقة نفسها»[13]، ولتتبع جذور المسيحية الغنوصية من الأرثوذكسية، نجد أن الأسقف الأرثوذكسي الغنوصي إيرينايوس Irenaeus من القرن الثاني قد شجع المسيحيين على الاعتراف باللسان برب واحد هو الآب[14].

ومن دون الإيمان بفرد متفوق، تبع ذلك أيضاً، أن المسيحيين الغنوصيين أقدموا أيضاً على رفض النظام التسلسلي اللاهوتي، والأخذ بالترتيب الدقيق للمراتب داخل كنيستهم، وفي مقابل الغنوصيين الأرثوذكس لأنطاكية، الذين آمنوا بأن مراتب: الأسقف، والكاهن، والشماس، هي مرآة للمراتب السماوية[15]، لم يميز بعض المسيحيين حتى فيما بين رجال اللاهوت والعلمانيين، وكثيراً أكثر المراتب بين رجال اللاهوت، وقد وصف تيرتوليان الغنطوسيين بقوله:

«*وهكذا فإن واحداً من الناس هو أسقف في أحد الأيام، وفي التالي واحد آخر، والرجل الذي هو اليوم شماس غدا هو قارئاً، والذي هو اليوم كاهن هو رجل علماني في اليوم التالي لأنهم يفرضون حتى على العلمانيين أعمال رجال اللاهوت ووظائفهم*».

و:

«. . . . *وبإمكان الجميع الوصول إلى المساواة، فهم يصغون بمساواة، ويصلون بالتساوي، وإذا صدف ووصل أحدهم. . . هم أيضاً يتشاركون بقبلة السلام مع جميع الواصلين*»[17].

ولم يكن في داخل البناء العقائدي الأرثوذكسي مفهومٌ حول تقاسم السلطة والسيادة بين الجنسين الذكر والأنثى، وأن واحداً ينبغي أن يكون متفوقاً على الآخر، وكانوا يتصورون بأن الوجه الفردي للرب هو وجه ذكر، وعدّ المسيحيون الأرثوذكس سيادة الذكر امتداداً للنظام السماوي، فقد كتب القديس أوغسطين في أوائل القرن الخامس: «ينبغي أن نخلص إلى أن الزوج قد قصد به أن يحكم على زوجته مثلما يحكم الروح على الجسد»[18]، وحاول القديس بولص في رسالته الأولى إلى الكورنثيين أن يشرح السبب لهذه السيادة بقوله:

«لأن الرجل لم ينبع بالأصل من المرأة، بل عملت المرأة وخلقت من الرجل، ولم يخلَقِ الرجل من أجل المرأة، لكن المرأة خلقت من أجل الرجل»[19].

وإلى تاريخ متأخر هو عام 1977 ظل البابا بولص السادس يوضح بأن النساء ممنوعات من الدخول في سلك الكهنة «بسبب أن ربنا هو رجل»[20].

وتوجب على النساء بين الأرثوذكس أن يأخذن أدواراً تتسم بالخضوع، حيث قال القديس بولس في رسالته الأولى إلى تيموثي:

«*على النساء أن يتعلمن بصمت مع الجميع الطاعةَ والخضوع، فأنا لا أسمح لأية امرأة أن تعلم رجلاً، أو أن تكون لها سلطة على الرجال، بل عليها أن تحافظ على الصمت*»[21].

وعندما قام رهبان مسيحيون في القرن الرابع بتقطيع العالمة الكبيرة هايباتيا Hypatia حتى الموت بأصداف المحار، أوضح القديس سيرل Cyril ذلك وعلله، لأنها كانت امرأة مثيرة للاضطراب حيث تصدرت، على الرغم من أوامر الرب إلى تعليم الذكور[22].

وكان هناك – على كل حال – مسيحيون مبكرون، لم يعتنقوا لا فكرة بأن الرب كان حصراً ذكراً، ولا مفهوم سيادة الذكر، وهناك مجموعة مبكرة هي مجموعة الإيسينيِّين – التي جرى الكشف عن كثير من كتاباتها في مخطوطات البحر الميت – قد آمنت أنَّهُ من القداسة امتلاك ملامح وتوجهات نسائية، فقد قال يسوع في إنجيل الايسينيين للسلام: سوف أقودكم إلى ملكوت ملائكة أمنا»[23]، ويخبرنا نص غنوصي كيف أن حواء ابنة صوفيا (الحكمة) التي رغبت في أن يعطي الضوء الأول في العالم، الحياة إلى آدم قائلاً:

«*.... قالت [حواء]: عش يا آدم، انهض وقف على الأرض، وعلى الفوْر صارت كلمتها فعلاً، لأنه عندما نهض آدم وقام، فتح على الفور عينيه، وعندما رآها قال: أنت سوف تدعين أم الحياة، بسبب أنك التي أعطيتني الحياة*»[24].

ولم تتقبل جميع المسيحيات المبكرات أدوار الخضوع، في حين أنه لدى الغنوصيين سلسلة واسعة من الآراء، حيث تشير كثير من كتاباتهم إلى مريم المجدلية

على أنها واحدة من أكثر القادة أهمية للحركة المسيحية المبكرة، ويعتقد بعضهم أنها كانت أول من رأى قيامة يسوع المسيح، وأنها تحدت سلطة بطرس كجزء من ظهور المراتب اللاهوتية الكنسية، وقد ارتعب تيرتوليان تجاه دور المرأة بين الغنوصيين بقوله:

«... *نساء الهراطقة لعوبات خليعات! ذلك أنهن جريئات بما فيه الكفاية للقيام بالتعليم، وبالمناقشة ولأن يعملن بكتابة التعاويذ، ولأن يقمن بالمداواة، لا بل يمكنهن القيام حتى بالتعميد*»[25].

وكان هناك نقطة أخرى من نقاط الخلاف بين المسيحيين قد تعلقت بمعالجة طبيعة وصدق كيف يمكن للفرد أن يغدو ملهماً ومتنوراً كثيراً في مناقشاته المتمركزة حول قيامة المسيح، وحول فيما إذا كان جسد المسيح أم روحه، هو الذي قام، ويصر المسيحيون الأرثوذكس على أن جسد المسيح هو الذي قام[1]، ولكي نستخدم كلمات تيرتوليان: «عانى جسده وتألم مع دم، جسده الذي بنيَ مع العظام، ونسج مع العروق، وتخللته الأعصاب»[26]، وقد آمنوا بما أن القيامة كانت بالجسد، فإنها حصلت مرة واحدة ولن تكرر مرة ثانية.

ويصر الأرثوذكس على أن الإنسان يمكنه أن يتعلم عن المسيح، فقط من خلال الذين عايشوا هذه القيامة وشاهدوها، أي الرسل، أو الرجال الذين جرى تعيينهم بمثابة خلفاء لهم، وحصر هذا القوة والسلطة في إطار قلة، وأرسى قواعد سلسلة محددة من الأوامر[27]، وقد حدد هذا الآفاق التي يمكن للإنسان أن يكتشف فيها الرب، ويدعي الأرثوذكس والكاثوليك (عالمياً) المسيحيين أنهم هم الخلفاء المعيّنون للرسل وعلى هذا هم وحدهم الذين يمكنهم تنوير الآخرين، وهكذا أعلن الأسقف ايرينايوس Irenaucs:

«*من المتوجب إطاعة الكهنة الذين هم في الكنيسة... الذين يمتلكون الخلافة من الرسل، فهؤلاء - مع الذين يمتلكون الخلافة من الأساقفة - قد تسلموا منحة خاصة من الصدق*»[28].

---

(1) هل يقوم جسد من الموت ويعود إلى الحياة من دون روح؟.

وإلى هذا اليوم يرجع البابا سلطاته واحتلاله المقام الأعلى إلى بطرس نفسه «أول الرسل»، لأنه كان أول شاهد على القيامة[29].

وعلى كل حال، يدّعي بعض الغنوصيين، الاعتقاد بقيامة المسيح ويحدده بشكل حرفي بأنه كان بالجسد وليس بالروح، بأنه «إيمان الحمقى»[30]، وهم يصلون إلى محصلة مع فكرة أن ما من واحد قد شاهد جسد المسيح بعد القيامة، وذلك مع التأكيد على أن بطرس كان أول من واجه قيامة المسيح[1]، لا بل حتى إنّ الإنجيلين الرسميين لمرقص ويوحنا حين يرويان كيفية ظهور المسيح أولاً يؤكدان بأن هذا الظهور لم يكن لبطرس أو إلى الرسل، بل إلى مريم المجدلية[31]، ويقول يسوع لمريم: «لا تلمسيني»[32]، يعتقد بعضهم، أراد يسوع أن يبين بأنه كان في الروح ولم يكن بالجسد، وبذلك مؤمنين بأن قيامة المسيح بالروح، يدلك بوضوح على أن أي واحد بصرف النظر عن كونه أنثى أو ذكر، وعن مرتبته، يمكنه أن يتعايش أو أن «يرى الرب» في المنامات أو بالرؤى، وبالتالي أي واحد يمكنه أن يصبح مشحوناً بالمقدرة مع السلطة نفسها مثل الرسل[33]، وأن أي واحد يمكنه تحقيق الوصول، ومن ثم تطوير علاقاته، أو علاقاتها مع الرب.

والمسيحيون غير متفقين حول الطبيعة الأساسية للصدق، فبالنسبة للأرثوذكس، الذين يؤمنون بأن الصدق يمكنه أن يأتي فقط من خلال تعاقب الرسل وخلافتهم، أنّ الصدق كان محدداً ولم يتغير مطلقاً، أو أنه قد أبيح وكشف عنه مرة واحدة فقط عند القيامة، ونتيجة لذلك يمكن للإنسان لا بل ينبغي أن يعرف الرب من خلال الكنيسة فقط، وليس من خلال التقصي الذاتي، ولا من خلال خبرة الإنسان الشخصية، وهكذا عدّ الإيمان الأعمى أكثر أهمية من الفهم الشخصي، وكان الأسقف ايريناوس حذراً ليس في طلب أجوبة «مثل التي يمكن لأي واحد أن يكتشفها بنفسه» بل بالحري في أن يقبل الإيمان الذي تعلمه الكنيسة والذي يمكن فهمه بوضوح، ومن دون تناقضات، وبصورة منسجمة[34].

---

(1) لقد قيل لهن: قام، لكن لم يشاهدن القيامة.

وكتب أيضاً يقول: «إذا . . . نحن لم يمكننا أن نكتشف شروحاً لجميع هذه الأشياء الموجودة في الكتابات المقدسة . . . ينبغي أن ندع الأشياء التي هي من تلك الطبيعة إلى الرب الذي خلقنا، وأن نكون متأكدين تمام التأكيد بأن الكتابات المقدسة هي بالحقيقة كاملة»[35].

وأعلن تيرتوليان:

«*نحن لا نريد خلافات غريبة بعدما امتلكنا يسوعاً المسيح، ولا أسئلة بعدما تمتعنا بالإنجيل، ومع إيماننا نحن لا نرغب بمزيد من الإيمان*»[36].

وينبغي على الإنسان أن يقبل من دون سؤال، وأن يخضع لكل ما تعلمه الكنيسة، وفي الحقيقة عدّ المسيحيون الأرثوذكس المتابعة الشخصية الشاقة للصدق والحقيقة، والفهم، هي مؤشر على الهرطقة، وذلك حسبما كتب تيرتوليان قائلاً:

«*وجرى تعليم هذا القانون . . . من قبل المسيح، ولم يثر بيننا أنفسنا أي سؤال آخر، من الأسئلة التي أثارها الهراطقة وقدموها، وهي التي تجعل الناس هراطقة*»[37].

وقال أيضاً:

«*لكن على أية أرضية الهراطقة غرباء، وأعداء للرسل، إذا لم يكن من الخلاف في تعليمهم، الذي يقوم به كل فرد حسب هواه من دون أن يكون قد أسلف له أو تلقاه*»[38].

وبما أن الأرثوذكس آمنوا بأن الصدق والحقيقة يمكن أن تكون معلومة فقط من خلال خلفاء الرسل، يمكن للإنسان أن يتعلمها فقط بقبول ما تعلمه الكنيسة بإيمان أعمى.

وعلى كل حال آمن آخرون بأن روح المسيح وحضوره يمكن لأي واحد أن يعيشه ويواجهه في أي وقت من الأوقات، على أساس التقدير بأن الصدق هو متحرك ويزداد بشكل دائم، ويعتقد بعض الغنوصيين بأن الصدق والغنطوس «العرفان» قد وجد ليس بوساطة النظر إلى الكنيسة، بل بوساطة أن ينظر الإنسان إلى داخل نفسه، فالعرفان الذاتي سوف يقود إلى معرفة الرب، وهكذا كتب واحد من أساتذة الغنوصيين قائلاً:

«انظر الرب باتخاذ نفسك بمثابة نقطة البداية . . . اعرف منابع الأسف، والسرور والحب، والكراهية . . . فإذا ما بحثت بعناية في هذه المسائل، فلسوف تجده في نفسك»[39].

وعلم في القرن الأول سيمون ماغوس Magous أنه يوجد في داخل كل إنسان ويسكن «القوة التي هي بلا حدود . . . والتي هي أصل العالم»[40]، ويتعلق بالطريق إلى التنوير ويرتبط به ليس فقط ببساطة قبول كلام الكنيسة حول الإيمان، بل ببحث شخصي فعال من أجل الفهم، وجاء في نص غنوصي قوله: «النفس العاقلة هي التي تتعب ذاتها في البحث، وهي التي تعلم عن الرب»[41].

ويؤمن هؤلاء المسيحيون في البحث الشخصي والتقصي، وأنه لا يمكن أن يكون منفصلاً عن الطريق الروحي للإنسان، وهكذا نقرأ في الإنجيل الغنوصي المنسوب إلى توما قول المسيح: *«إذا كنت مستقيماً، فإن الذي في داخلك، والذي تقدمه سوف ينقذك، وإذا لم تقوِّم الذي هو في داخلك، إن الذي سوف لن تقدمه سيحطمك ويدمرك»*[42].

وقد آمنوا بأن البحث يمكن أن يطرد الجهل الذي ينتج الكوابيس ويوجدها، والتي فيها يجري تلبس الإنسان بكثير «من التصورات»، وأن يعاني «من الرعب والاضطراب، وعدم الاستقرار، والشك والانقسام»[43]، وهكذا نقرأ في إنجيل الصدق: «الجهل . . . يجلب الألم والرعب، ويزداد الألم ويغدو قاسياً صلباً مثل الضباب، ولذلك لن يستطيع أحد أن يرى»[44].

ويمكن للبحث في داخل نفس الإنسان أن يجلب المعرفة والتنوير لطرد مثل ذلك الجهل، وهم يؤمنون بأن يسوعاً قد شجع على البحث في الذات واستكشافها، فهو قد قال: «ابحث واطلب فلسوف تجد، واقرع، فلسوف يفتح لك» و«ملكوت الرب موجود فيك»[45].

وأراد الأرثوذكس أن يمتلكوا الإشراف على الصدق والتحكم به، ولذلك أرادوا إشرافاً دقيقاً على الذين يمكنهم من نشر ذلك الصدق، واختلف المسيحيون الأوائل بحدة حول دور الكنيسة، واعتقد المسيحيون الغنوصيون الذين قدروا تقديراً عالياً التقصي الذاتي، بأن بناء الكنيسة ينبغي أن يبقى مرناً، في حين أصر المسيحيون الأرثوذكس على الارتباط الدقيق بكنيسة واحدة[46]، وأصر الأسقف ايرينايوس على

أنه ينبغي أن تكون هناك كنيسة واحدة، وأنه في خارج الكنيسة «لا يوجد خلاص»[47]، وقد قال عن الكنيسة: «بأنها المدخل إلى الحياة وجميع الآخرين هم لصوص وحرامية»[48]، وكتب إغناطيوس أسقف أنطاكية: «يبنغي أن لا يخدع إنسان نفسه، وإذا لم يكن كل واحد في داخل المذبح، هو محروم من خبز الرب»[49]، وحاجج كليمنت أسقف روما من 90 إلى 100م بأن الرب وحده يحكم كل شيء، فهو الذي وضع الشريعة، وهو الذي يعاقب العصاة، ويكافئ المطيعين، وأن سلطاته قد عهد بها نيابة عنه إلى قادة الكنيسة، وذهب كليمنت إلى حد القول بأن كل من لا يطيع هذه السلطات المرسومة لاهوتياً، هو غير مطيع للرب نفسه، وينبغي أن يتلقى عقوبة الإعدام[50].

وقبل وقت طويل من محاولة الكنيسة الإشراف والتحكم الروحي، أقدمت على اتخاذ أدوات مدمرة، وكانت بذور طغيانها واضحة في عقيدة المسيحيين الأرثوذكس الأوائل، فقد حدد إيمانهم بوجود سيادة فردية الطريق الذي يمكن للإنسان به أن يفهم الرب، وأزال تمام الإزالة أي تمثيل بالمشاركة في السيادة، وشجع الرعب المؤسس على بناء سلطوي حشر الناس إلى أوضاع هي إما السيادة والتفوق أو الدونية، وضيقت على القوة الشخصية الذاتية، وطلبت طاعة عمياء من دون سؤال، ومع أن المسيحيين الأرثوذكس مثلوا فقط فرعاً واحداً من بين كثير من الفروع المبكرة، تمكنوا خلال عدة قرون بشكل فعال من إخضاع الأنواع المختلفة من العقائد والأفكار، وأصبحت العقائد الأرثوذكسية مترادفة مع المسيحية نفسها.